مقدمة

التجديد.. أو الكارثة

حلمي سالم
شاعر وكاتب

www.alkottob.com

تحت عنوان " تجديد الخطاب الديني" ، عقد مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان بالتعاون مع الفيدرالية لحقوق الإنسان والشبكة الأورومتوسطية لحقوق الإنسان ندوةً فكريةً مكثفةً علي مدار يومين (12، 13أغسطس – آب 2003) في باريس، شارك فيها نحو ثلاثين مفكراً وباحثاً وكاتباً، مصرياً وعربياً، من أجيال وانتماءاتٍ فكريةٍ مختلفةٍ، ضمّت علمانيين وقوميين واشتراكيين ودينيين مستنيرين فضلاً عن باحثي حقوق الإنسان العرب، بالإضافة إلي مفكرٍ مسيحيٍ معروفٍ. وغنيٌ عن الذكر أن كلّاً من الحاضرين كان يمثّل نفسه وفكره، ولا يمثّل حزباً أو منظمةً أو حركةً.

كانت عواملُ عديدةٌ، وطوال سنوات عشر سابقة، تدفع نحو ضرورة عقد هذا اللقاء:

فقد حفلتْ أعوام ما بين 1993 و 2003 بمجموعة فادحةٍ من الأحداث التي دلّت علي استشراء التطرف باسم الدين وتنامي العنف باسم السماء، وتفاقم انسياب الدم باسم المقدس.

بدأت هذه السنواتُ العشرُ المحزنةُ بتكفير المفكر المصري نصر حامد أبو زيد والحكم بردّته وتفريقه عن زوجته، حتى انتهى الأمر بهجرته إلي هولندا (وهو واحدٌ ممن شاركوا في هذه الندوة بورقة أساسية).

ثم جاءت بعد ذلك واقعة محاولة اغتيال نجيب محفوظ، حيث طعنه متطرف –لم يقرأ لمحفوظ حرفاً– بمطواة في رقبته، وحينما سُئل الجاني قال إن أمير جماعته قال له إن محفوظ كافر وإن قتله قصاصٌ رباني حلالٌ.

تلا ذلك واقعة الهجوم علي معبد الدير البحري بالأقصر، حيث انهال رصاص الرشاشات علي السّياح الأجانب وعلي المصريين وعلي الرسوم الفرعونية القديمة فوق جدران المعبد العريق.

اندلعت بعد ذلك أزمة رواية "وليمة لأعشاب البحر" للروائي السوري حيدر حيدر، إذ تمّتْ مصادرتها بعد وشايات التيار الديني المتجمّد في مجلس الشعب وجريدة "الشعب" (لسان حال حزب العمل آنذاك)، بل إن هذا التيار الدينيَّ قد سيَّر مظاهراتٍ أزهرية ضد الرواية وناشرها (وزارة الثقافة المصرية) كادت تشعل حربًا في المجتمع.

وما إن مرّت هذه الأزمة، حتى تفجرت أزمة الروايات الثلاث الصادرة عن هيئة قصور الثقافة (لثلاثة من الكُتاب الجدد)، لتنتهي بمصادرة الروايات وعزل المسئولين عن نشرها في وزارة الثقافة.

واكبَ ذلك كله ما تواتر عن تحطيم جماعة طالبان في أفغانستان تماثيل بوذا في الميادين، بدعوى أنها "أصنام" جاهلية، مع تحريم التعليم والسينما والتليفزيون. وما تواتر عن البيانات التي تصدر بين يوم وآخر من فقهاء سعوديين بتكفير الحداثة والحداثيين، مع نشر قوائم بأسماء هؤلاء الكافرين العرب. وما تواتر عن ذيوع فتاوى من شيوخ وفقهاء تبيح تعذيبَ المواطنين في أقسام الشرطة، وتعطي للضباط سندًا شرعيًا لإهانة المواطنين (متهمين وغير متهمين) وتعذيبهم، حتى لو أدى التعذيب إلى الموت.

ومع 11 سبتمبر 2001 وصل هذا المنهج المتعصب إلى ذروته، حينما تمّ تفجير برجي التجارة العالمي بنيويورك، عن طريق جماعة "القاعدة". ووصل مأزق الإسلام مع العالم إلى ذروته كذلك.

وهنا تصاعدت في أرجاء الدنيا – وفي العالم الإسلامي خاصة – صيحات "تجديد الخطاب الديني"، بما يصاحبها من أغراض تحسين صورة الإسلام في نظر الغرب، وتخليص الإسلام من شبهة التطرف والعنف، ومسَايرة الإسلام لمستجدات العصر الحديث وتحولات اللحظة الراهنة.

www.alkottob.com

ولا ريب أن دعوة "تجديد الخطاب الديني" ليست دعوة طارئة أو مفاجئة أو وليدة السنوات الأخيرة، بل هي قديمةٌ قديمة. ويمكن أن نصلَ في تتبع جذورها في الفكر الإسلامي، إلى عمر بن الخطاب (الذي عطل حد السرقة في عام الجوع) وعلى بن أبي طالب وأبي ذر الغفار، ثم إلى المعتزلة وابن رشد والصوفيين.

والثابت أن دعوة "تجديد الخطاب الديني" كانت ملمحًا رئيسيًا من ملامح النهضة (أو محاولة النهضة) العربية الحديثة منذ قرنين. فلقد سطعتْ هذه الدعوةُ عند معظم روّاد هذه النهضة، بدرجات مختلفة: بدءًا برفاعة رافع الطهطاوي، ومرورًا بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الحميد بن باديس ومالك بن نبي وعلى عبد الرازق وطه حسين وخالد محمد خالد و حسين مروة، وصولاً إلى حسن حنفي ومحمود إسماعيل ونصر أبو زيد وصادق جلال العظم وخليل عبد الكريم.

كانت ضرورة "تجديد الخطاب الديني"، إذن مطروحةً طوال قرني النهضة الحديثة –التاسع عشر والعشرين– لكنها لم تصل إلى أزمتها المدوّية، إلا في العقد الأخير، سيما بعد تفجير البرجين.

هنا صارت هذه الضرورةُ " ضرورة حياة أو موت" بالنسبة للإسلام والمسلمين.

وهي ضرورة مؤداها: هل يجد الإسلام لنفسه مكانًا في الحياة المعاصرة، أم يخرج من التاريخ؟

وهكذا التقتْ هذه النخبة المثقفة العربية تحت عنوان "السبل العملية لتجديد الخطاب الديني". ودارت الحواراتُ والتعقيباتُ والمناقشاتُ والمناقشاتُ بين الجميع، تسودها جميعًا الجديةُ والعمقُ والرغبة في التفاهم والفهم.

وبوصفي كنت منسق هذا اللقاء، فإن بإمكاني أن أرصد بعض الظواهر التي تجلت فيه، عبر النقاط التالية:

1- اتفق الجميعُ منذ البدء أن "الخطاب الديني" هو غير "الدين". فالدين هو ذلك التنزيل الإلهي السماوي المتجلي في "النصّ المقدس"، أما "الخطابُ الديني" فهو ما تراكم على هذا "النصّ المقدس" –وحوله– من تفسيراتٍ وتأويلاتٍ ومشروحاتٍ، أنتجها فقهاء ومفسرونَ ومفكرونَ، عصرًا وراء عصر، ومرحلة وراء مرحلة.

الخطاب الديني، إذن، هو فعلٌ بشريٌّ، من حيث هو قراءة بشر للنص الأصليّ، وتأويلُ بشر للمتن المقدس. وهو بذلك قابلٌ للخطأ والصواب، وعُرْضَةٌ لتدخل المصلحة (السياسية أو الاجتماعية أو الأدبية)، كما أنه عرضةٌ لسوء الفهم أو لضيقه، فضلاً عن أنه نسبيٌّ. ولذلك كله: يسرى عليه التعديلُ والتطويرُ والتجديدُ (بل والنقض) الذي يسري على كل فعل بشري.

2- طرح بعض مفكري التيار الديني المعتدل أفكارًا وتصورات جديدةً جريئة. فمنهم "مثل المفكر المصري جمال البنا" من دعا إلى اتخاذ القرآن الكريم وحده مرجعيةً وحيدةً فكرًا دينيًا" لبشر، وذلك لأن القرآن الكريم هو وحده كلامُ الله المقدس، بينما كلُّ الفكر الديني كلامُ بشر يخطئ ويصيب.

والسؤال الذي يواجه هذا التصور هو: وماذا عن النصوص القرآنية المباشرة (وغير المباشرة) التي تعطي المتطرفين سلاحًا صريحاً لنفي الآخر، وللاعتقاد بالصواب المطلق وامتلاك الحقيقة الوحيدة. ولتصفية الخارجين على دين الإسلام، ولاستبعاد المختلف؟

ومنهم (مثل المفكر السوداني الباقر العفيف) من دعا إلى التفريق في المرجعية بين السّور المكيّة في القرآن وبين السّور المدينيّة فيه، موضحًا أن السّور المكيّة كانت لينةً ذات نشدان رحب وتبشير غنائيٍ وسيعٍ، وذلك لأن الدعوة كانت ما تزال في مهدها، ومن ثم مالت إلى "الترغيب" فيما السّور المدينية تركت المبادئ التبشيرية الواسعة الرحبة

www.alkottob.com

إلى سنّ القوانين والمعاملات والتشريعات القاطعة، لأن الدعوة كانت قد استقرت وصارت "دولة" تستدعى "الضبط والربط"، ومن ثم مالت إلى "الترهيب".

والسؤال الذي نوجهه إلى هذا الطرح هو: هل يمكن أن نبني على سور المبادئ المكية الرحبة قوانين ومعاملات وتشريعات وضبطاً وربطاً بما يتلاءم مع مجريات حياتنا المعاصرة؟

3- على الرغم من الهوة الواسعة (ظاهرياً) بين الفكر الديني المتطرف والفكر الديني المعتدل, فإن كثيراً من الاختبارات (النظرية والعملية) التي مرت بحياتنا الحديثة قد وضعتْ هذه الهوّةَ الظاهرية في مأزقٍ دقيق، انتهى إلى زوال هذه الهوة (جوهريًا) بين المتطرف والمعتدل, بحيث غدا الاثنان متطابقيْن أو متكاملين!

وعليه، فكثيرًا ما شكل الفكرُ الدينيُّ المعتدل مرادًا نظريًا للفعل الديني المتطرف، من غير أن يلوث يده بالدم المرئي:

المعتدل كتب تقريرًا نظريًا بأن رواية "أولاد حارتنا" لنجيب محفوظ تمس الدين والمقدّسات، والمتطرف طعن رقبة نجيب محفوظ بالمطواة وسبّبَ له الشلل. المعتدلُ كتب في تقرير لجنة الترقيات بالجامعة أن دراسات نصر حامد أبي زيد فيها خروجٌ على ما هو معلوم من الدين بالضرورة، والمتطرف رفع دعوى حِسْبة على أبي زيد انتهت بتفريقه عن زوجته وهجرته إلى الخارج. المعتدلُ كتب أن فرج فودة علماني يسخر من الدين ويزدريه، والمتطرف أفرغ رصاص رشاش في رأس فرج فودة فأرداه قتيلاً. ثم عاد المعتدل ليشهد –في المحكمة– أن فودة كان كافرًا يستحق القتل، وأن قاتليه ليسوا مذنبين إلا في تنفيذهم حكم الله بأنفسهم، بينما تنفيذه هو مهمة السلطات!

وقد عاشت ندوة "تجديد الخطاب الديني" لحظات حرجةً تبدَّى فيها مأزق الفكر الديني المعتدل في صلته المضمرَة بالفكر الديني المتطرف، سيما حينما يُواجه بنصوص النصّ الأصلىّ (القرآن) التي يستند إليها المتطرفون في إضفاء شرعيةٍ إلهيةٍ قرآنيةٍ على فعل الاستئصال والنفي والعنف!

4- وضع الجميعُ –بدرجات متفاوتةٍ– أيديهم على سمةٍ أليمةٍ من سمات تاريخنا القديم والحديث، هي ذلك التحالف غير المقدس بين السلطة السياسية الجائرة والسلطة الدينية السلفية، إذ هناك مصلحة تبادلية أكيدة بين الاستبداد السياسي والاستبداد الديني، فكل منهما يتقوى بالآخر ويتدّعم ويكتسب شرعية السطوة والبقاء.

ولذلك تمثل الديمقراطيةُ، دائمًا، الشمس التي تختفي بسببها خفافيشُ الظلام: ظلام القهر السياسي وظلام التطرف الديني.

5- كانت مشاركة المفكر المسيحي المصري د.يوحنا قلتة في الندوة علامةً على أن مفردةَ "الديني" في عنوان الندوة، لا تنصرف إلى الدين الإسلامي وحده وعلامة على أن ضرورة تجديد الخطاب الديني تنطبق كذلك على الفكر الديني المسيحي، مشيرةً إلى الإشكال الأصيل الذي يواجه كلَّ ديانةٍ سماويةٍ، حينما تخلق مستجدات تطور الأزمان مسافةً –صغيرة أو كبيرة– بين النصّ الفوقي والحياة الدنيا، بحيث يتطلب رأب هذه المسافة مواجهةَ السؤالَ الصريح: هل نرأبُ المسافةَ لصالح النص أم لصالح الحياة؟ مستهدينَ بقراءةٍ منفتحةٍ للنصّ وتأويلٍ رحب؟.

هذه المسافة واجهت كل الأطروحات الكبري (سماوية وأرضيةً), ولذلك قال قائلون: النظريةُ رماديةٌ، لكن شجرة الحياة خضراء.

6- مراتٍ عديدةً طافَ على سماء حوارات الندوة شعار "الدين لله والوطن للجميع" باعتباره المبدأ الأصيل في مواجهة التطرف والعنف والبتر، لكن الحوارات لم تتطرق إلى تحويل هذا المبدأ (الذي هو من إنتاج الشعب المصري

www.alkottob.com

كله في ثورة 1919) إلى تشريعات دستورية وقانونيةٍ تنفيذية، لكي لا يظل المبدأ شعارًا جماليًا وأخلاقيًا وأدبيًا، لا ترجمة قانونيةً تطبيقية له على الأرض.

ولا ريب أن وضع هذا الشعار الملهم (الذي هو طوق النجاة الحقيقي) موضع التطبيق تشريعيًا وقانونيًا سيعني إعادة النظر في البنود الدستورية الحالية التي تنصّ على أن دين الدولة هو الإسلام، وأن الشريعة الإسلامية هي المصدر للتشريعات. وسيعنى إعادة النظر في وصاية الأزهر –عبر مجمع البحوث الإسلامية فيه– على الفكر والثقافة والإبداع والفنون.

ويعني إعادة النظر في تحديد الهوية الدينية في بطاقات تحقيق الشخصية.

إن هذه البنود والإجراءات التي ينبغي إعادة النظر الجاد فيها هي بنود وإجراءات طائفيةٌ أو محرضة على الطائفية، وهي من علامات الدولة الدينية، ثم إنها تتعارض جذريًا مع مطلب "تجديد الفكر الديني" الذي يلهج به الجميع، الصادقون منهم والكاذبون!

* * *

وبعد، نتركك أيها القارئُ العزيز، مع هذا الكتاب المهم، الذي يأتي في لحظته المناسبة من لحظات تاريخنا المضطرب الراهن، الذي كانت آخر علاماته القلقة، حتى الآن، مظاهرات الفتنة الطائفية في الإسكندرية بسبب مسرحية مزعومة.

وقد قسّمنا الكتاب إلى أربع مناظرات: المناظرة الأولى تتضمن الأوراق الرئيسية التي قدمها الباحثون أثناء جلسات الندوة.

والمناظرة الثانية تتضمن التعقيبات التي ناقشت الأوراق الرئيسية، أثناء الندوة.

والمناظرة الثالثة تتضمن سجالاً مع الكاتب فهمي هويدي، حول مقالته عن الندوة.

والمناظرة الرابعة تتضمن بعض الأصداء التي أثارتها الندوة في الحياة الفكرية.

وحينما تنتهي –أيها القارئ العزيز– من قراءة ذلك السجال الفكري الرفيع في ذلك الموضوع الخطر، ستقول لنفسك، مثلما قلتُ لنفسي مرات:

التجديد، أو الكارثة.

حلمي سالم

www.alkottob.com

المحتويات

مقدمة: التجديد.. أو الكارثة — حلمي سالم — 7

افتتاحية — بهي الدين حسن — 15

المناظرة الأولى: البحوث والأوراق — 21

1. نحن في حاجة إلى فقه جديد — أحمد عبد المعطي حجازي — 23
2. كيفية تجديد الخطاب الديني — الباقر العفيف — 29
3. مدخل إلى تجديد الخطاب الديني — جمال البنا — 47
4. أفكار حول تنشيط الدعوة إلى الإصلاح الديني — صلاح الدين الجورشي — 61
5. العلم والدين والتصور التلفيقي — د. فيصل درّاج — 71
6. تجديد الخطاب الديني، لماذا؟، وكيف؟ — د. محمود إسماعيل — 79
7. في نقد الخطاب الديني — د. مصطفى التواتي — 89
8. نحو منهج إسلامي جديد للتأويل — د. نصر حامد أبو زيد — 109
9. نحو خطاب ثقافي جديد — الأنبا د. / يوحنا قلتة — 119

المناظرة الثانية: التعقيبات — 129

- تعقيب على ورقة د. نصر حامد أبو زيد — الباقر العفيف — 131
- ملاحظات حول تجديد الخطاب الديني: تعقيب على د. نصر أبو زيد والباقر العفيف وآخرين — جمال البنا — 141
- ما يطالب به حجازي يختلف عما يدعو إليه البنا — د. عاطف أحمد — 147
- فك خناق الفقه: تعقيب على صلاح الجورشي — د. مصطفى التواتي — 153

المناظرة الثالثة: سجال مع فهمي هويدي — 159

- نقطه نظام — فهمي هويدي — 161
- ليس في الإسلام كهنوت — حلمي سالم — 169

www.alkottob.com

- **تجريح الأشخاص لا تشريح المضامين** — د. عاطف أحمد — **177**
- **خطوة للأمام وليس مؤامرة ضد الإسلام** — صلاح الدين الجورشي — **185**
- **الإرهاب الناعم والتجديد** — د. حيدر إبراهيم — **191**
- **الأسباب مفهومة** — أحمد عبد المعطي حجازي — **199**

المناظرة الرابعة: الأصداء — **205**

- **إحياء الرسالة الحقيقية** — د. أحمد راسم النفيس — **207**
- **تجديد الخطاب الديني** — د. جابر عصفور — **213**
- **البحث في المكان الخطأ** — الباقر العفيف — **219**
- **من شهوة الانقلاب إلى مصيدة الإرهاب..** — محيي الدين اللاذقاني — **233**

إعلان باريس

- **إعلان باريس حول "سبل تجديد الخطاب الديني"** — **241**
- **قائمة المشاركين في الندوة** — **249**

www.alkottob.com

قائمة المشاركين في اللقاء التشاوري حول
السبل العملية لتجديد الخطاب الديني

باريس 12-13 **أغسطس** 2003

م	الاسم	الصفة	البلد/الإقامة
1.	أحمد عبد المعطي حجازي	الشاعر والكاتب ب""الأهرام""	مصر
2.	إدريس اليازمي	أمين عام الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان	المغرب/فرنسا
3.	د. أنور مغيث	مدرس الفلسفة بجامعة حلوان	مصر
4.	د. أسامة خليل	الكاتب الإسلامي	مصر/فرنسا
5.	الباقر العفيف	المفكر الإسلامي–منظمة العفو الدولية	السودان/بريطانيا
6.	بهي الدين حسن	مدير مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان	مصر
7.	جمال البنا	المفكر الإسلامي	مصر
8.	حلمي سالم	شاعر (منسق اللقاء)	مصر
9.	د. حيدر إبراهيم	أكاديمي ومفكر سياسي	السودان
10.	خميس قصيلة	أمين عام الرابطة التونسية لحقوق الإنسان	تونس/فرنسا
11.	خميس شماري	مستشار وخبير حقوقي	تونس/فرنسا
12.	درويش الحلوجي	كاتب ومترجم	مصر/فرنسا
13.	سليمان بوشويغير	خبير حقوقي	ليبيا/سويسرا
14.	صلاح الدين الجورشي	مفكر إسلامي–نائب رئيس الرابطة التونسية لحقوق الإنسان	تونس
15.	د. زينب رضوان	عميد كلية دار العلوم–عضو مجلس الشعب	مصر
16.	د. عاطف أحمد	باحث متخصص في الفكر الإسلامي	مصر
17.	د. عبد الحسين شعبان	رئيس الشبكة العراقية للتنمية ونشر ثقافة حقوق الإنسان	العراق/بريطانيا
18.	عبد السلام حسن	خبير حقوقي ومستشار قانوني	السودان/بريطانيا
19.	د. غانم جواد	مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية	العراق/بريطانيا
20.	فابيولا بدوي	صحفية	مصر/فرنسا
21.	د. فيصل دراج	الكاتب والناقد	فلسطين/الأردن
22.	كريم مروة	المفكر والسياسي	لبنان
23.	كمال الجندوبي	نائب رئيس الشبكة الأورمتوسطية لحقوق الإنسان	تونس/فرنسا
24.	د. مجدي عبد الحافظ	مدرس فلسفة بجامعة حلوان	مصر
25.	د. محمد برادة	الكاتب والناقد	المغرب/فرنسا
26.	د. محمود إسماعيل	أستاذ التاريخ الإسلامي	مصر
27.	د. مصطفى التواتي	أستاذ جامعي	تونس
28.	د. نصر حامد أبو زيد	أستاذ الدراسات الإسلامية	مصر/هولندا
29.	الأب د. يوحنا قلتة	نائب بطريرك الكاثوليك	مصر

www.alkottob.com